

د. عبد الجواد محمد المصاوي

روى البخاري بسنده عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي أنه قال: مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ الآية: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لقمان: 34).

أثار المشككون المشغب حول تفسير علم ما في الأرحام بعمومه على أنه أحد الغيوب الخمس التي لا يعلمها إلا الله، وقالوا لقد بات العلماء يعرفون ما في الأرحام من ذكورة الجنين أو أنوثته، والمتشوهات الخلقية فيه، وهو في بطن أمه بأجهزة التصوير والتحليل الدقيقة! وأصبح في مقدور العلماء إنزال المطر من السحب، بواسطة بعض التقنيات العلمية؛ فأثاروا الבלبل في أذهان الكثيرين من العوام، وعند غير المراسخين في العلم بهذا الموضوع؛ وهب بعض العلماء المعاصرين يدفعون المشبهة وينافحون عن تفسير النص القرآني، لكنهم للأسف أخطئوا طريق الدفاع الصحيح؛ فلم يحرروا محل النزاع بدقة، ولم ينظروا إلى النصوص الواردة في الموضوع مجتمعة، ولم يدرسوا الأمر دراسة موضوعية، فطاشت سهامهم؛ وبقيت المشبهة حية في عقول وأفواه الكثيرين من الناس.

وفي هذا البحث سنناقش هذا الموضوع باختصار في الإجابة على الأسئلة التالية: ما الفرق بين علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وبين علم الله المحيط بعالم الشهادة؟ وكيف حدث الخلط بينهما؟ وهل يمكن أن يعلم البشر شيئاً من مفاتيح الغيب؟ وما هو العلم الذي لا يعلمه إلا الله لما في الأرحام؟ وما هو الزمن الذي تتعلق به مفاتيح الغيب الخمسة؟ وهل يوجد وجه للإعجاز في التحدي بهذه المغيبات الخمس.

قال الله تعالى: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْزِمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا عِلْمٌ مَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (الأنعام: 59).  
تحدثت الآية الكريمة في أولها عن عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، ثم تحدثت في الجزء الثاني منها عن علم الله الشامل المحيط في عالم الشهادة؛ فما هو عالم الغيب وما هو عالم الشهادة؟  
الغيب: هو ما غاب عن حواس الإنسان أو عن علمه وبصيرته، أو ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداية العقول، وإنما يعلم بعضه بخبر الأنبياء - عليهم السلام.

قال ابن جرير الطبري (1): أخبر الله تعالى أن عنده علم كل شيء كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد وذلك هو الغيب. وقال صاحب المنار (2): الغيب هو ما حجب الله علمه عن الناس، بعدم تمكينهم من أسباب العلم به، لكونه مما لا تدركه مشاعرهم الظاهرة ولا الباطنة؛ كعالم الآخرة. وعرف ابن عاشور الغيب فقال (3): والغيب ما غاب عن علم الناس، بحيث لا سبيل لهم إلى علمه، وذلك يشمل الأعيان المغيبة كالملائكة والجن، والأعراض الخفية، ومواقيت الأشياء. وحصره الماوردي (4): في علم الماضي الذي لا يعلمه أحد، وعلم المستقبل.

وينقسم الغيب من حيث الزمان إلى:

غيب الماضي: كالعلم بأحداث القرون التي مضت.

غيب الحاضر: مثل تسجيل الملائكة الأعمال، وما يدور في النفوس.

غيب المستقبل: مثل العلم بالموجودات قبل إيجادها، وعلم وقت قيام الساعة، ومواقيت حدوث الموت.

كما ينقسم الغيب من حيث علم المخلوقين به إلى قسمين: غيب حقيقي، وغيب إضافي. □

قال صاحب المنار (2): والغيب قسمان: غيب حقيقي مطلق؛ وهو ما غاب علمه عن جميع الخلق حتى الملائكة، وفيه □ يقول الله - عز وجل: (قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (النمل: 65). وغيب إضافي وهو ما غاب علمه عن بعض المخلوقين دون بعض؛

كالذي يعلمه الملائكة ﷻ من أمر عالمهم وغيره ولا يعلمه البشر، وأما ما يعلمه البشر بتمكينهم من أسبابه واستعمالهم لها، ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب، أو عجزهم عن استعمالها، فلا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب الله.

#### عالم الشهادة:

الشهادة لغة واصطلاحاً: المعاينة أو الإخبار بالخبر المقاطع، أو مجموع ما يدرك بالحس أو البصر من الموجودات. وعالم الشهادة هو عالم الأكوان الظاهرة..

ولقد تحدثت الآية الكريمة (وعنده مفاتيح الغيب.. الآية) في الجزء الثاني منها عن علم الله الشامل المحيط في عالم الشهادة. متمثلاً بموجودات البر والبحر، كلياتها وجزئياتها، صفاتها وأحوالها ومآلاتها، ودقائق تفاصيلها وسنن تسخيرها. تحقيقاً لقوله ﷻ تعالى: (وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) (الطلاق: 12).

ولم يحجب الله عن البشر الطرق والوسائل الموصلة للعلم بهذه الموجودات، بالقدر الذي يتناسب وطاقتهم وحاجتهم لتسخيرها، فيما ينفعهم للقيام بعمارة الأرض، ولا تعارض مطلقاً بين علم البشر بأي شيء في هذا الوجود، وبين علم الله المحيط المطلق فيه.

وتطلق مفاتيح الغيب في اللغة والاصطلاح على: الطرق والوسائل التي يتوصل بها للغيب أو على خزائن الغيب. ومفاتيح الغيب جمع مضاف يعم كل المغيبات، أو هي علم الله بجميع الأمور الغيبية. (5) وقد خصص هذا العموم بعض المفسرين (6)؛ بخزائن الأقدار والأرزاق، أو الثواب والعقاب، أو عواقب الأعمار وخواتيم الأعمال.

والصحيح أن العموم في مفاتيح الغيب خصصه النبي ﷺ بخمسة أشياء فقط، بقوله عليه الصلاة والسلام: مفاتيح الغيب خمس، وذكر آية لقمان (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير) رواه البخاري.

#### المخلط بين العلم بمفاتيح الغيب وعلم الله المحيط بعالم الشهادة.

لم ينظر معظم الذين كتبوا في هذا الموضوع من المعاصرين ﷻ إلى جميع النصوص الواردة في قضية مفاتيح الغيب الخمس، حينما نظروا إلى قول الله تعالى: (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) ليزيلوا شبهة التعارض بين ما ثبت من الحقائق العلمية في علم الأجنة الحديث، وبين التفسير المشائع لعلم ما في الأرحام، الذي يدخل قضية علم نوع الجنين وصفاته الخلقية، في علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، فقالوا: إنه لا تعارض مطلقاً بين علم البشر، وعلم الله لما في الأرحام، فعلم البشر علم جزئي، وعلم الله محيط شامل للذكورة والأنوثة وغيرها؛ من الأجل والدرزق والمشاء والسعادة وغير ذلك، فوقعوا بهذا التفسير في ﷻ خلط جلي؛ بين الغيب الحقيقي المقصود علمه على الله تعالى وحده في مفاتيح الغيب الخمس، وبين علم الله المحيط الشامل لعالم الشهادة من الموجودات؛ والتي يمكن أن يتعلق ببعضها أو ببعض أجزائها علم البشر؛ بواسطة إدراك العلماء وتعلمهم لسنن الكون والحياة. لكن الناظر إلى قوله تعالى: (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر.. الآية) يجد أن الله سبحانه فصل بين القضيتين بوضوح وأن النبي ﷺ قد أخبر أن الخمس الواردة في آية سورة لقمان هي مفاتيح الغيب الخمس، بتحديد ظاهر لا لبس فيه.

هل يمكن أن يعلم البشر شيئاً من مفاتيح الغيب؟

اتفق جميع أهل العلم على أن مفاتيح الغيب الخمسة: لا يعلمها إلا الله، ولا يخضع أي منها في كلياتها وجزئياتها، للسنن الكونية في

عالم الشهادة، وبالتالي لا يمكن لمخلوق أن يعلم أي شيء منها، اعتماداً على سنن الاستكشاف في عالم الكون المنظور. □  
قال ابن حجر: فالمراد بالغيب المنفي في قوله تعالى: (قُلْ لَا يَـٰعِلْمَ مِنِّي الْمَـٰرِئَاتِ وَالْمَـٰرِئَاتِ الْغَيِّبِ إِلَّا اللَّـهُ) (النمل: 65). هو المذكور في هذه الآية التي في لقمان(7).

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: أوتي نبيكم علم كل شيء سوى هذه الخمسة (8)، وقال القرطبي (9) بعد ذكره لنفس الآية: قال ابن عباس: هذه الخمسة لا يعلمها إلا الله تعالى، ولا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، فمن ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه فقد كفر بالقرآن، لأنه خالفه. وقال عبد الرحمن السعدي (10): وهذه الأمور الخمسة من الأمور التي طوى علمها عن جميع الخلق فلا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب فضلاً عن غيرهما.

وقد كان هذا الأمر واضحاً في كلام المفسرين - رحمهم الله - حينما فسروا الآية الكريمة ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. ١١ ﴾. وقال الطبري (11): وعند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه، مما استأثر بعلمه نفسه، ويعلم أيضاً مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم ولا يخفى عليه شيء. ﴿ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠

وضوح القضية عند علماء السلف:

لقد كانت قضية مفاتيح الغيب الخمس، واضحة تماماً لا لبس فيها عند علمائنا السابقين. فعلم ما في الأرحام، وعلم وقت نزول المطر، كعلم وقت قيام الساعة سواء بسواء، من ادعى علم شيء منها فقد كذب بالقرآن، وخرج من ملة الإسلام، وكلام السلف علي الجملة صحيح، فهم يعتقدون أن علم إنزال الغيث وعلم ما في الأرحام هما مفتاحين من مفاتيح الغيب الخمس التي لا يعلمها إلا الله، وأن ادعاء علم شيء فيهما وفق السنن تكذيب بالقرآن والسنة، وخروج من الملة. أما تعرض بعضهم لتفاصيل علم ما في الأرحام وإدخال قضية العلم بنوع الجنين، في الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، فقد تبين اليوم خطؤه، حيث ثبت ببقيين أن العلم بنوع الجنين هو من عالم الشهادة؛ الخاضع لسنن الاستكشاف والمعرفة التي بثها الله في الخلق. وإدخال هذه القضية في الغيب المحظور إنما كان اجتهاد منهم - رحمهم الله - وليس فيه سند من قرآن أو سنة. أو لعله من باب تفسير عموم ما في الأرحام الوارد في الآية من غير نظر إلى حديث النبي ﷺ الذي خصصه بمفاتيح الغيب الخمس.

علم ما في الأرحام الذي لا يعلمه إلا الله هو علم ما تغيض الأرحام:  
أخبر النبي ﷺ عن عدد ومسمى مفاتيح الغيب في صيغتين: الصيغة الأولى تشير إلى القضايا التي وردت في آية سورة لقمان، قال النبي :  
مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ الآية (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير)  
رواه البخاري وغيره

وفي الصيغة الثانية من الخبر يقول النبي : (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله).

رواه البخاري.

فنحن الآن أمام حديثين وردا بصيغتين مختلفتين، في موضوع واحد، هو تحديد عدد ومسمى مفاتيح الغيب، وصيغة الحديث الأول تماثل صيغة الحديث الثاني، في ثلاث قضايا هي: علم الساعة، وعدم دراية الأنفس لكسبها، ومكان موتها، وهذه الثلاثة غيب حقيقي لا يعلمه إلا الله باتفاق العلماء، لكن الحديثين يختلفان في مسمى قضية إنزال المطر، وقضية ما في الأرحام.. فالحديث الأول أشار إلى أن

الصيغة العامة لهما هي مفاتيح الغيب، في قوله تعالى: (وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام). وأما الحديث الثاني فقد عدل عن صيغة العموم إلى صيغة الخصوص، فقد سماهما النبي ﷺ بالفاظ مخصوصة ﷻ محددة فقال: (ولما يعلم ما تغيض الأرحام إله الله، ولما يعلم متى يأتي المطر أحد إله الله).

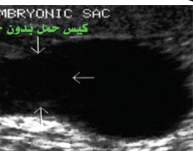
وبالجمع بين الروايتين يصير غيض الأرحام، وزمن مجيء المطر، هما الغيب الذي لا يعلمه إله الله، وبالتالي يصبح مراد النبي ﷺ في اللفظ العام في آية سورة لقمان بناء على الحديث الأول، هو المعنى المحدد باللفظ الخاص في الحديث الثاني. وبهذا تتوافق النصوص وينتهي الإشكال. و يكون غيض الأرحام هو أحد مفاتيح الغيب الخمس، لا الذكورة ولا الأنوثة ولما العلم بصفات الجنين، و يكون أيضاً العلم بوقت نزول المطر الوارد في الحديث هو أحد مفاتيح الغيب الخمس، لا مطلق إنزال الغيث الوارد في الآية الكريمة.

آية سورة الرعد تشرح ﷻ معنى ما في الأرحام

وبالجمع بين النصوص الواردة في الموضوع أيضا يتضح الأمر فقد وردت في سورة الرعد آية تجمع بين العموم ﷻ لما في الأرحام، وعلم الله المحيط به، وبين علم غيض الأرحام الذي لا يعلمه إله الله؛ وهي قوله تعالى: (الله يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) (الرعد: 8).

فعلم الله ﷻ لما تحمّل كل أنثى، كعلم الله لما في الأرحام، من حيث دلالة (ما) ﷻ الموصولة في كلتا الآيتين، فاللفظ فيهما عام شامل لكل ما يتعلق بعالم الغيب والشهادة في الحمل، وهذا المعنى العام المجمل، ﷻ فصل بقوله تعالى: (وما تغيض الأرحام وما تزداد) أي إن الله يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد؛ فالعلم المتعلق بغيض الأرحام هو من الغيب المقصور علمه على الله تعالى؛ استنادا للحديث. والعلم المتعلق بازدياد الأرحام بالأجنة؛ هو من عالم الشهادة؛ وعلم الله فيه علم إحاطة وشمول.

ويؤكد هذا قوله تعالى في الآية التالية: (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)؛ إشارة إلى أن في الآية السابقة: جزء من عالم الغيب وهو (ما تغيض الأرحام)، و جزء من عالم الشهادة؛ وهو علم الله المحيط الشامل لأحوال وصفات حمل كل أنثى على وجه البسيطة وما تزداد به الأرحام من هذا الحمل. ﷻ والله تعالى أعلم.



وهنا يرد السؤال ما هو غيض الأرحام؟

يطلق الغيض في اللغة على: النقص. والغور، والذهاب، والمنسوب. وقد جاء في المعاجم اللغوية: (غاض الماء غيضا ومغاضا): قل ونقص. أو غار فذهب. أو قل ونضب. أو نزل في الأرض وغاب فيها.

وغاضت الدرّة: احتبس لبنها ونقص. (المعجم الوسيط 2/668)، ﷻ وفي المفردات في غريب القرآن: (غيض الماء - وما تغيض الأرحام) أي ما تفسده الأرحام فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض. وقد دار تفسير العلماء لغيض الأرحام حول معنيين: الدم الذي ينزل على المرأة الحامل. والثاني: هو المسقط الناقص للأجنة قبل تمام خلقها، ﷻ قاله ابن عباس وقتادة (11)؛ والضحاك (13) وقال الحسن (14) الغيض: الذي يكون سقطا لغير تمام، وقال محمد رشيد رضا (15): ﷻ (وما تغيض الأرحام) من نقص الحمل أو فساده بعد العلوق.

شكل رقم (1) صورة لكيس حمل فارغ قد تحلل فيه الجنين واختفى ﷻ

وقال الأصفهاني في غريب القرآن (16): (غيض الأرحام: ما تفسده الأرحام فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض). وقال عبد الرحمن بن ناضر السعدي (17): (وما تغيض الأرحام) أي تنقص مما فيها، إما أن يهلك الحمل، أو يتضاءل، ﷻ أو يضمحل. وعرف علماء اللغة أيضا

المسقط بأنه: الجنين يسقط من بطن أمه قبل تمامه (18)، وعرضوا الغيظ بأنه المسقط الذي لم يتم خلقه (19).

إذن يمكننا القول بأن المسقط المفسر للغيظ والمراد في كلام علماء اللغة والتفسير هو: الجنين الذي سقط من بطن أمه قبل اكتمال خلقه، أو هو الجنين الذي يهلك في الرحم: ويتحلل ويغور وتختفي آثاره منها، ويصدق عليه أن الرحم تبتلعه كما تبتلع الأرض الماء.

علم الأجنة الحديث يجلّي الحقيقة:

يقول علم الأجنة الحديث: عندما تهلك الأجنة في الأسابيع الثمانية الأولى من عمرها: إما أن تسقط خارج الرحم، أو تتحلل وتختفي تماماً من داخله، ويسمى علماء الأجنة هذا الهلاك بصورتيه: الإسقاط التلقائي المبكر. وهو متوافق تماماً مع أقوال علماء اللغة والتفسير في تعريفهم للغيظ.



وعليه يمكننا أن نقول: بأن غيظ الأرحام هو الإسقاط التلقائي المبكر. وهو الذي يحدث خلال الأسابيع الثمانية الأولى من الحمل، وهو ظاهرة شائعة، ونسبة حدوثه كبيرة، إذ تصل إلى حوالي 60%، في الأسابيع الثمانية الأولى من الحمل. وفي عدة مشاهدات للمسقط المبكر لم يكن الجنين موجوداً؛ أي إن الجنين قد تحلل واختفى داخل الرحم. وعدم رؤية جنين بالمرّة في حويصلة الحمل، يسمى كيس الحمل الفارغ. وتمثل هذه الحالات حوالي نصف حالات المسقط التلقائي المبكر. وبعد اكتشاف جهاز الأشعة فوق الصوتية واستخدامه في تشخيص الحمل ومتابعتها: تأكدت حالات غور الأجنة واختفائها من داخل الأرحام (20)، انظر شكل (1).

شكل رقم (2) صورة لتوأمين داخل الرحم غار أحدهما واختفى في كيس الحمل

ويشيع هذا في حالات ظاهرة التوائم المتلاشي وأكدت عدة دراسات حديثة شيوع هذه الظاهرة: إذ بلغت نسبتها حوالي 50% من حمل التوائم. ويقول أحد المراجع الطبية (21): يغور وينضب ويختفي أحد التوأمين تماماً من داخل الرحم في الفترة المبكرة من الحمل. وقد شخّصت هذه الحالات بجهاز الأشعة فوق الصوتية فبعد رؤية جنينين في الرحم بهذا الجهاز. أصبح لا يرى إلا جنين واحد منفرد، ويجواره كيس صغير يحتوي على مادة كثيفة تدل على موت جنين سابق. وفي خلال 4 - 6 أسابيع يمكن أن يختفي هذا الكيس تماماً، ويزول معه الدليل على وجود حمل لجنين سابق آخر (انظر الشكل 2).

كما يمكن أن يشخص حمل عديد الأجنة - بأكياس حمل وأجنة حية - ثم عند الوضع لا يولد إلا جنين واحد تام مكتمل. (أما بقية الأجنة فقد غارت وابتلعتها الأرحام. وقد لا يسقط محصول الحمل بعد موت الجنين تلقائياً، بل يبقى لفترة طويلة داخل الرحم ويسمى الإجهاض المخفي، انظر شكل (3).

والنسبة الغالبة منه مآلها إلى الإسقاط التلقائي، لكن يحدث في بعض صورته أن يغور الجنين ويرتشف، ولما يكون له أي أثر داخل كيس الحمل. فيصير الجنين مع الرحم كالماء الذي حبسته الأرض وابتلعه.

ويتغير فيه حجم الرحم فيأخذ في الصغر والجمود - نظراً لامتصاص السائل الأمنيوسي وحدوث تهتك في الجنين. ولله در الشيخ السعدي الذي فسر الغيظ بالمسقط بصورتيه وكأنه طالع أحوال الأجنة المهالكة في أحدث المراجع العلمية. قال: (وما تغيض الأرحام) أي

تنقص مما فيها؛ إما أن يهلك الحمل (السقط الذي يلفظه الرحم) انظر (شكل 4)، أو يتضاءل (الإجهاض المخفي حيث ينكمش الجنين ويتضاءل)، أو يضمحل (الأجنة التي تتلاشى في الرحم). وتقول المراجع الطبية (22): ما زالت الإجابة غير معروفة ومحددة لهذا السؤال. لماذا تسقط بعض الأجنة بعد موتها ولماذا لا يسقط بعضها الآخر؟

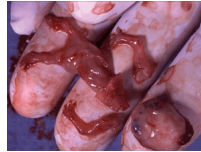


شكل رقم (3) صورة لجنين متهتك داخل كيس الحمل فيما يعرف بالإجهاض المخفي □ □ □ □ □

ماذا يعني العلم بغيب الأرحام؟

العلم بغيب الأرحام يعني العلم المسبق بحدوث الإسقاط التلقائي المبكر بشقيه قبل تمام تخليق الجنين □ برغم توفر مقدمات الخلق الضرورية ومادته الأولى، وتهيؤ الأسباب وانتفاء الموانع لحدوثه فيتخلص الرحم من تلك المواد الأولية؛ إما بإسقاطها أو بغورها واندثارها؛ وذلك لبيان أن الإيجاد بعد العدم والإعدام بعد الوجود ظاهرة متكررة تبين إمكان وقوع البعث بالمنظير والمضد، وأن التخليق هو اختيار من الفاعل المختار.

وعلى هذا يكون المراد بعلم غيب الأرحام الذي لا يعلمه إلا الله هو العلم بمستقبل هلاك الأجنة المبكرة أو بمعنى آخر: العلم بإرادة الله في إنشاء إنسان جديد من عدمه. وأن هذا العلم مقصور على الله وحده، ويستحيل على البشر بل وعلى الخلق جميعاً معرفته.



شكل رقم (4) صورة لسقط لفظه الرحم قبل تمام خلقه

استحالة العلم المسبق بحدوث الإسقاط التلقائي المبكر

يمر الجنين خلال مرحلة التخليق بتحويلات خطيرة وكبيرة ومعقدة للغاية. وما زالت جوانب كثيرة من هذه التحويلات تشكل لغزاً محيراً للعلماء مثل الإنقسام السريع للخلايا الجنينية، وتمايزها إلى خلايا وأعضاء مختلفة التركيب والوظيفة. وتحدث خلال هذه الفترة الحرجة تغيرات مفاجئة قد ينجم عنها خلل في الصبغيات أو الجينات تؤدي إلى هلاك الجنين المبكر بنسبة عالية قد تتجاوز 60% من كل الإسقاط التلقائي المبكر عند كل النساء، هذه التغيرات المفاجئة والمميتة ما زالت خارج نطاق العلم القطعي بحدوثها، وذلك لأن معظم أسبابها مجهولة، ويصعب جداً، بل يستحيل في كثير من الأحيان الكشف عنها مسبقاً أو حتى توقع حدوثها.

